

الأمير يوسف الفيضاني

المجمع الإسلامي التجديت ومكانات النهوض

مكتبة وهبة

دار نشر المكتبة رقم ١٢٩٠٣٧٤٦
ت. ١٣٩١٧٤٧٠



دار الكتب المصرية

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد
إدارة الشؤون الفنية

القرضاوي، يوسف .

المجتمع الإسلامي، التحديات
وإمكانات النهوض / يوسف القرضاوي .
- القاهرة ، مكتبة وهبة ، ٢٠١١

٦٤ ص: ١٤ سم

تدمك ٦ ٢٠٤ ٢٢٥ ٩٧٧

١- الإسلام والمجتمع .

٢٠١٢، ٢٠١١

محاضرات الإمام يوسف القرضاوي

المجتمع الإسلامي

التحديات وإمكانات النهوض

الإمام يوسف القرضاوي

الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية -

عابدين - القاهرة

٦٤ صفحة ١٤ × ٢٠ سم

رقم الإيداع: ٢٠١١/٨٣٦٥

الترقيم الدولي: I.S.B.N.

977-225-304-6

تذييل

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة
(للطباعة والنشر) . غير مسموح بإعادة
نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أي جزء
منه ، أو تخزينه على أجهزة
استرجاع أو استرداد إلكترونية ،
أو ميكانيكية ، أو نقله بأي وسيلة
أخرى ، أو تصويره ، أو تسجيله على
أي نحو ، بدون أخذ موافقة كتابية
مسبقة من الناشر أو المؤلف .

All rights reserved to The Author And
Wahbah Publisher. No Part of this
Publication may be reproduced, stored
in a retrieval system, or transmitted,
in any form or by any means, electronic,
mechanical, photocopying, recording or
otherwise, without the prior written
permission of the publisher And Author.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجتمع الإسلامي وإمكانات النهوض^(١)

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، الذي هدانا لهذا
وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك ، وأشهد أن سيدنا وإمامنا وحبيبنا وأسوتنا
محمدًا عبد الله ورسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله
وصحبه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه ، واتبعوا النور الذي
أنزل معه ، أولئك هم المفلحون ، ورضي الله عمَّن دعا
بدعوته ، واهتدى بسنته ، وجاهد جهاده إلى يوم الدين .

خير ما أحييكم به - أيها الأخوة والأخوات - تحية الإسلام ،
وتحية الإسلام السلام ، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
وأهنئكم بهذه الأيام المباركة من هذا الشهر الكريم شهر
رمضان ، الذي أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل حظنا
منه الرحمة والمغفرة والعق من النار ، وأن يتقبل فيه صيامنا
وقيامنا وخالص أعمالنا ، ويغفر لنا ما فرطنا فيه .

(١) أُلقيت هذه المحاضرة بشهر رمضان ، في نادي ضباط الشرطة بالإدارة
العامة لشرطة أبوظبي ، ولقد أُلقيت هذه المحاضرة ارتجالاً .

﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(التحریم: ۸).

نحن في العشر الأواخر من رمضان ، بل في السبع الأواخر منه ، حيث تلمس ليلة القدر ، وهي خير من ألف شهر ، فعسى أن تكون ليلتنا هذه - أيها الأخوة - هي ليلة القدر ، فلنحتسب عند الله تبارك وتعالى جلوسنا هذا للتدارس ، لنحتسبه إحياء لهذه الليلة ، فليس الإحياء بالصلاة والذكر والتسبيح فقط ، الإحياء يكون بتدارس العلم أيضا ، وقد كان جبريل ينزل على النبي ﷺ كلَّ عام في رمضان ، فيدارسه القرآن^(۱)، يتدارسان القرآن . فما أجمل أن نتدارس القرآن ، ونتدارس مفاهيم القرآن ، ومعاني القرآن في هذه الليلة المباركة .

أيها الأخوة نحن الآن أمام هذا العنوان : (المجتمع الإسلامي ، التحديات وإمكانات النهوض) ، كما حدّده الأخوة في إدارة هذا النادي ، الذي نسأل الله أن يجعله ناديا للخير ،

(۱) متفق عليه : رواه البخاري في بدء الوحي (۶)، ومسلم في الفضائل (۲۳۰۸)، كما رواه أحمد (۲۶۱۶) ، والنسائي في الصيام (۲۰۹۵)، عن ابن عباس .

حيث هناك نواذٍ للمنكر كثيرة ، نسأل الله أن يجعله ناذياً للعلم والهداية والمعروف والخير ، وقد افتتح موسمه بهذه المحاضرة في هذا الشهر الكريم ، دلالة على منهج سديد ، وعلى اتجاه رشيد ، نسأل الله أن يثبتهم عليه ، ويسددهم فيه ، آمين .

اهتمام الإسلام بالمجتمع :

الإسلام دين اجتماعي ، دين مجتمع ، يهّمه أن يقيم مجتمعا صالحا ، صحيح أنه يهتم بتكوين الفرد وتربيته تربية متكاملة ، ولكنه لا يكتفي بتكوين الفرد حتى ينشئ المجتمع ، ولهذا كانت هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة سعياً وراء مجتمع صالح ، مجتمع إسلامي تتجسد فيه قيم الإسلام وأحكامه ، فالمجتمع الإسلامي : هو الذي تكون عقائده إسلامية ، وشعائره إسلامية ، ومفاهيمه إسلامية ، وأخلاقه إسلامية ، وآدابه وتقاليده إسلامية ، وقوانينه وتشريعاته إسلامية .

مجتمع الدين والدنيا معا :

هذا هو المجتمع الإسلامي ، وهو الذي أقامه النبي ﷺ في المدينة ، مجتمع متكامل جمع بين الدين والدنيا ، جمع بين الروحية والمادية ، بين الواقعية والمثالية . ولهذا كان أول

مشروع أقامه النبي ﷺ في المدينة بعد الهجرة : المسجد الذي أُسِّس على تقوى من الله ورضوان ، المسجد^(١) .

وثاني مشروع أسَّسه النبي عليه الصلاة والسلام : السوق ، تصوَّروا النبي عليه الصلاة والسلام ، أقام المسجد ، ثم أقام السوق^(٢) .

كان يهود بني قينقاع يسيطرون على السوق ، وكانت السوق تسمَّى باسمهم ، سوق بني قينقاع هي التي عمل فيها عبد الرحمن بن عوف أول ما ذهب وعرض عليه أخوه في الله سعد بن الربيع أن يشاطره داريه ويشاطره زوجتيه ، ويتنازل له عن نصف ماله أيضاً ، قال له : عندي زوجتان ، اختر إحداهما أطلقها لك ، فتستوفي عدتها وتزوجه .

فقال له : بارك لك في دارك ، وبارك لك في مالك ، وبارك لك في أهلك . فقابل هذا الإيثار العظيم بتعفف كريم ، وقال له : إنما أنا امرؤ تاجر ، فدلني على السوق^(٣) .

(١) إشارة إلى حديث الهجرة الطويل الذي رواه البخاري في المناقب (٣٩٠٥ ، ٣٩٠٦) ، عن عائشة .

(٢) إشارة إلى ما رواه ابن شبة في تاريخ المدينة (٣٠٤/١) عن عطاء ابن يسار بلفظ : « لما أراد رسول الله ﷺ أن يجعل للمدينة سوقاً أتى سوق بني قينقاع ، ثم جاء سوق المدينة فضربه برجله وقال : « هذا سوقكم ، فلا يضيق ، ولا يؤخذ فيه خراج » .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في البيوع (٢٠٤٨) ، عن عبد الرحمن ابن عوف .

وذهب إلى السوق ، سوق بني قينقاع وتاجر حتى ربح ،
وتزوَّج وجاء إلى النبي ﷺ وعليه رائحة الطيب وقال :
تزوَّجت . قال : « هل أولمت ؟ » . قال : لا . قال : « أولم ولو
بشاة » ^(١) .

المهم قول عبد الرحمن : إنما أنا امرؤ تاجر ، فدلّني على
السوق ، كان سوق بني قينقاع ، ولكن النبي عليه الصلاة
والسلام ، أراد أن يكون للمسلمين سوقهم ، فبنى لهم سوقاً ،
وجعلها مقسّمة ومنظّمة ، هذه لباعة البقر ، وهذه لباعة الغنم ،
وهذه لباعة الإبل ، وهذه لتجار الحبوب ، وهذه لتجار
الخضروات ، وهذه . . وهذه . . وأعطى التجار نصائح ، وكان
يخرج إلى السوق ما بين الحين والحين ينصح هؤلاء .

فهو مجتمع جمع بين الدين والدنيا معاً .

المجتمع الإسلامي مجتمع الإخاء :

مجتمع الإخاء ، آخى النبي عليه الصلاة والسلام فيه بين
المهاجرين والأنصار ، الذين وفدوا من مكة وأصحاب البلاد
الأصليين المدينة ، كان يمكن أن تقوم بينهم حساسيات ، هذا
وافد وهذا مواطن ، هذا خارجي وهذا من أهل البلد . ولكن

(١) رواه البخاري في البيوع (٢٠٤٩) ، وأحمد (١٢٩٧٦) ، عن أنس
ابن مالك .

النبي عليه الصلاة والسلام أقام بينهم هذا الإخاء الذي رأينا صورة منه بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف .

وأُسِّس هذا الإخاء أيضاً بين الأوس والخزرج ، الذين طالما تحاربوا في الجاهلية وسالت بينهم الدماء ، وامتدَّت بينهم الحروب ، وكان بينهم ثارات ، وآخى الله بينهم ، ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ (الأنفال: ٦٣) .

قام المجتمع على الأساس الرباني ، العبادة التي تتمثل في المسجد ، والإخاء الذي يتمثل في ربط القلوب بعضها ببعض ، والاقتصاد الذي يتمثل في سوق يسيطر عليها المسلمون ، والجهاد الذي أعدَّ الأمة لتدافع عن نفسها .

المجتمع المسلم مجاهد :

كان مجتمع جهاد ، فإن النبي عليه الصلاة والسلام غزا سبعاً وعشرين غزوة شارك فيه بنفسه ، وبعث نحو ستة وخمسين سرية^(١) . في هذه المدة العشر سنوات ، كانت كلُّها

(١) قال النووي في شرح مسلم (١٩٥/١٢) : قد اختلف أهل المغازي في عدد غزواته ﷺ وسراياه ، فذكر ابن سعد وغيره عددهن مفصلات على ترتيبهن ، فبلغت سبعاً وعشرين غزاة ، وستا وخمسين سرية . قالوا : قاتل في تسع من غزواته ، وهي : بدر ، وأحد ، والمريسيع ، والخندق ، وقریظة ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف . هكذا عدوا الفتح فيها ، وهذا على قول من يقول : فتحت مكة عنوة .

جهاداً ، ما من بيتٍ إلا وقدّم بعض الضحايا والشهداء في سبيل الله من بيوت المدينة .

وقد عقد النبي ﷺ بينه وبين الأقليات الأخرى معاهدات واتفاقيات للدفاع عن المدينة ، فقد كان اليهود بقبائلهم الثلاث بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير يسكنون في أطراف المدينة ، عقد معاهدة بينه وبينهم ، وكتب الصحيفة المشهورة ، التي تعتبر بمثابة دستور مكتوب يحدّد العلاقات بين طوائف هذا المجتمع بعضها وبعض^(١) .

أقام النبي عليه الصلاة والسلام مجتمعاً نموذجياً هو أساس المجتمع الإسلامي كلّهُ على مدار التاريخ .
المسلم لا يعيش وحده :

الإسلام دين مجتمع ، لا يتصورُ المسلم فرداً يعيش وحده ، المسلم يعيش في مجتمع ، ولذلك يغرس الإسلام في نفسه ، في عقله ، في قلبه ووجدانه هذا الشعور بالمجتمع ، فإنه إذا صلى وكان وحده في قعر بيته يتلو فاتحة الكتاب : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٥، ٦) ، لا يقول : إياك أعبد . ولا يقول : اهْدني الصراط المستقيم . هو يتحدث بلسان الجماعة ، الجماعة تحيا في

(١) ابن هشام في السيرة (٣/٣١ - ٣٥) .

ضميره ، وتمثّل على لسانه ، إذا ناجى ربه قال : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥)، لأن الجماعة حاضرة ويناजी الله باسمها ، وإذا دعا ربه لا يدعو لنفسه ، إنما يدعو لنفسه ولأئمة وللجماعة كلّها : ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٦) .

وإذا خاطب القرآن المسلمين لا يخاطبهم أفراداً لا نجد في القرآن : (أيها المؤمن) . ولكن نجد فيه : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (المائدة: ١)، نداء جديد قرع سمع الجزيرة العربية لأول مرة بعد أن كان تنادي الناس بالفردية أو بالقبلية ، يا فلان ، ويا بني فلان ، يا بني عبد مناف ، يا بني مخزوم ، يا بني قريش ، يا بني تميم . هنا لم يعد النداء للفرد ولا للقبيلة ، وإنما النداء بهذا العنوان الجديد : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (المائدة: ١).

هم مخاطبون بالتضامن بأحكام الله وتكاليفه ، أيّا كانت هذه الأحكام والتكاليف ، بعضها يتعلق بالأحوال الشخصية كما نسميها : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ (المائدة: ١٠٦) . وبعضها يتعلق بالأحوال العبادية : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٣).

وبعضها يتعلّق بالتشريعات الجنائية : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾ (البقرة: ١٧٨) .

وبعضها يتعلّق بالتشريعات المدنية : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾
(البقرة: ٢٨٢)، آية المدنية أطول آية في القرآن ، القرآن
يخاطب الذين آمنوا بصفة الإيمان بهذه الصيغة الجماعية ، لأن
المؤمنين باعتبارهم جماعة متضامنون في إقامة الدين ، وفي
تحكيم شرع الله .

وفي تطبيق أحكام الله ، حتى الأحكام السياسية والجزائية
بمثل قوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءُ
بِمَا كَسَبَا نَكَالًا ﴾ (المائدة: ٣٨)، خطاب للأمة ، وكذلك :
﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم
بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ (النور: ٢)، مَنْ الذي يجلد؟ وَمَنْ الذي
يقطع؟ المفروض أن الحاكم هو الذي ينفذ . لماذا كان
الخطاب للأمة؟ لأن الأمة كلّها مسئولة عن الأحكام ، بحيث لو
أن الحاكم قصرّ تكون الأمة مسئولة معه ، الأمة مسئولة
بالتضامن عن هذه الأحكام كلّها ، هذا هو المجتمع المسلم .

المجتمع الإسلامي مترابط متضامن :

الإسلام يقيم مجتمعاً متضامناً ، مجتمعاً مترابطاً ترابطاً
عضوياً ، صورّه النبي ﷺ ، تصويرات شتى ، قال : « المؤمن

للمؤمن كالبنيان ، يشدُّ بعضه بعضاً» . وشبك بين أصابعه^(١) .
 كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً؟ معناه : أن اللبنة مهما كانت قوية
 ومتينة فهي وحدها لا تصنع شيئاً ، ما دامت مبعثرة ولو كانت
 ألف لبنة ، إنما تصنع شيئاً إذا وضعت بنظام وتماسك ،
 ووضع بينها شيء يربطها - الأسمنت أو المونة أو الطين -
 أو الشيء الذي يجمع هذه اللبنة في نظام وتناسق ، هو الذي
 يصنع المجتمع المسلم ، تصبح لبناته جزءاً في كيان كلي هو
 الذي نسميه المجتمع ، لذلك صورَّ النبي ﷺ ، تلاحم هذا
 المجتمع بقوله : « ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم
 وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى
 له سائر الأعضاء بالحمى والسهر»^(٢) . ترابط عضوي ، الجسد
 يجب أن تكون فيه مجموعة من الأجهزة : الجهاز العصبي ،
 والجهاز العظمي ، والجهاز التنفسي ، والجهاز الهضمي ،
 والجهاز الدموي ، والجهاز البولي ، أجهزة شتى . والأجهزة
 فيها أعضاء ، والأعضاء فيها خلايا وأنسجة ، ولكن كلها يخدم

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الصلاة (٤٨١) ، ومسلم في البر والصلة

(٢٥٨٥) ، كما رواه أحمد (١٩٦٢٤) ، والترمذي في البر والصلة

(١٩٢٨) ، والنسائي في الزكاة (٢٥٦٠) ، عن أبي موسى .

(٢) متفق عليه رواه البخاري في الأدب (٦٠١١) ومسلم في البر والصلة

(٢٥٨٦) ، كما رواه أحمد (١٨٣٧٣) عن النعمان بن بشير .

بعضها بعضا ، كلُّ هذه مكوّنات تكوّن شيئا واحداً ، وكياناً واحداً .

هذا ما أراد النبي ﷺ أن يصوّره لنا من حقيقة هذا المجتمع المسلم ، هذا المجتمع المسلم إذا نظرنا له اليوم ، للمجتمع المسلم أو المجتمع الإسلامي ، ونقصد المجتمع الذي ينتمي إلى الإسلام ، ويدين أهله بالإسلام ، ويقولون : نحن مسلمون ، نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

التحديات تفرض نفسها على العالم الإسلامي :

المجتمع الإسلامي اليوم يواجه تحديات ، هل يستطيع أن يتغلب على هذه التحديات؟ هل يمكنه أن ينهض بما يريده الإسلام منه؟ هذا هو موضوعنا : التحديات .

ويبدو أن كلمة التحديات هذه فرضت نفسها على الناس ؛ قبل أن آتيكم كنتُ بالأمس في النادي الثقافي في مسقط ، وقد اختاروا أيضاً الموضوع الذي أحاضر فيه : (الأمة الإسلامية في مواجهة التحديات) .

وقبل أن آتي إلى مسقط كنتُ في جدة ، وكان لي محاضرة أيضاً عن (الاقتصاد الإسلامي والتحديات المعاصرة) .

وقبل ذلك كان لي محاضرة في مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية بالرياض عنوانها : (الفقيه المسلم وتحديات العصر) .

وقبلها محاضرة في النادي الأدبي في مكة عنوانها : (الدعية المسلم وتحديات العصر) .

يبدو أننا نشعر أن أماننا تحديات ، تحديات تواجه الفقيه ، وتحديات تواجه الداعية ، وتحديات تواجه الاقتصادي ، وتحديات تواجه رجل الشرطة ، وتحديات تواجه المجتمع كله . التحديات من غيرنا لنا ، كنا في الزمن الماضي نتحدى ولا نتحدى ، كنا نحن الأمة التي تتحدى العالم ولا عجب ، فنحن أمة القرآن الذي تحدى العرب ، وتحدى العالم من ورائهم : أن يأتوا بحديث مثله ، أو بعشر سور مثله ، أو بسورة مثله ، فغلبوا وانقطعوا .

الأمة التي تحدى خليفها يوماً السحاب في السماء ، وقال لها : شرقي أو غربي ، وأمطري حيث شئت ، فسيأتيني خراجك^(١) . الأمة التي تبوأ مكانتها تحت الشمس ، كانت هي الأمة الأولى ، وتمثل العالم الأول ، وصاحبة الحضارة الوحيدة في العالم ، كانت تتحدى ، فأصبحنا الآن نتحدى ، أصبح مجتمعنا يواجه تحديات .

(١) انظر صبحي الأعشي (٢٨٥/٣) .

كيف نجمع بين الدين والدنيا ؟

أستطيع أن ألخص التحدّيات التي يواجهها مجتمعنا في أمر واحد ، هو : كيف نستطيع أن نعيش عصرنا ، ونلحق به في العلم والتقدّم التكنولوجي ، وتسخير قوى الطبيعة للإنسان ، ونستفيد من كلّ ما في هذا العصر من إمكانيات ، مع احتفاظنا بإسلامنا ، بمبادئنا ، بقيمنا ، بأخلاقنا ، بشعائنا ، وشرائعنا؟

هل نستطيع أن نكون مسلمين متمسكين بعُرى الإسلام ، معترّين بهذا الإسلام ، لا نحيد عنه شعيرة وشرعة؟

هل نستطيع أن نكون مسلمين نطبّق الإسلام في حياتنا أفراداً وجماعاتٍ ودولاً ، ومع هذا نستطيع أن نقيم مجتمعاً معاصراً متقدّماً يملك ناصية العلم والتكنولوجيا ؟ أم لا نستطيع ذلك؟

هم يصنعون الحضارة ونحن نستهلكها :

هذا هو التحدّي الحقيقي ، المشكلة أننا نحن المسلمين في كلّ المجتمعات الإسلامية الآن ، نحيا في سجن التخلف ، نحن متخلّفون ، مجتمعاتنا في كلّ البلاد الإسلامية مجتمعات متخلّفة .

لا يغرّنكم ما ترون من هذه المظاهر التي نعيشها ، نحن لم نصنع هذا الميكروفون الذي يكبّر الصوت ويسمعكم ، ولم نصنع هذه المسجّلات التي تسجّل صوتي ، ولم نصنع هذه الكاميرا التي تصوّر هذه المحاضرة ، هذه الأشياء صنعت لنا ، نحن نستورد ما صنع غيرنا ، قد نستورد أغلى المصنوعات وأفخرها ، يمكن أن نشترى أغلى جهاز ، لا يشتريه ولا ينتفع به أصحابه أنفسهم ، يعمله اليابانيون ، واليابانيون يصدّرونه وقد لا يستخدمونه ، يمكن أن نشترى سيارات من ألمانيا لا يستخدمها معظم الألمان ، نقول لهم : اعملوا لنا سيارات خصيصا لنا ، (مرسيدس) خمسمائة . . وتصنع لنا ، وفيها كماليات لا تنتهي ، ثم كل واحد منا يأخذ السيارة ويمشي ينهب الأرض نهبا ، يمشي في الأرض مرحا ، لا يمشي فيها هونا كما يمشي عباد الرحمن ، كأنه صانع هذه السيارة . أنت لم تصنع فيها مسمار ، لم تصنع فيها شيئا .

لسنا متحضّرين ولا متقدّمين ، استهلاكنا لأدوات الحضارة ومصنوعات الحضارة لا يجعلنا متحضّرين ؛ لأننا عالة على غيرنا . من عدّة سنوات كنتُ في إحدى بلاد الخليج ، فنظرت فيما حولي فوجدتُ أن كل ما حولي مستورد من الخارج ، كل الأشياء حتى المكتب الذي أمامي مكتوب عليه أنه مستورد

من البلد الفلاني ، حتى الموكيت الذي نمشي عليه من الخارج ، ماذا فعلنا نحن ؟ لا يوجد شيء ليس من الخارج إلا البشر ، والباقي كله جاء من الخارج ، نحن أمة لم تصنع ، نحن نستورد ولا ننشي ، نستهلك ولا ننتج ، نشترى ولا نبيع . صحيح أننا نبيع البترول ، لكننا لم نصنعه ، الله هو الذي صنعه ، ولم نكتشفه نحن ، وإنما اكتشفه الخواجات ، ثم نبيعه بأرخص الأسعار ، ليردّوه لنا بأعلى الأسعار ، أضعاف أضعاف ، فالحقيقة أننا متخلّفون .

هم يسمّونا بلادا نامية ، مصطلح البلاد النامية هذا تعبير مؤدّب عن البلاد المتخلّفة ، الناس لا يريدون أن يجرّحوا شعورنا ، ويقولوا : البلاد المتخلّفة . فسمّونا البلاد النامية ، ولعلّ لهم قصدا أن يخدّرنا ، حتى نظنّ أننا ننمو ، والواقع أننا متخلّفون ، لأن بيننا وبين القوم مراحل ومراحل ، مسافات ومسافات .

بيننا وبين القوم مراحل :

عندما كنا نركب الناقة أو الحمار - أعزكم الله - كانوا هم يركبون السيارة ، فلما بدأنا نركب السيارة وجدناهم يركبون الطائرة ، فلما ركبنا الطائرة وجدناهم صنعوا الصاروخ . والواقع أننا ليس عندنا لا سيارة ، ولا طائرة ، ولا صاروخ ،

إنما هي سياراتهم وطائراتهم ، هم صانعوها ، ونحن لم نصنع شيئاً .

نحن في عالمنا العربي لم نصنع مورتورا ، ولا مورتور متوسيكل . أحسن الصناعات التي عندنا هي تجميع فقط ، صناعة (٤٠%) وتجميع (٦٠%) . أما الصناعات الثقيلة والماكينات المهمة لم نصنعها .

لقد قلت من قديم : أمة سورة الحديد لم تتعلم صناعة الحديد ، أنزل الله سورة في القرآن سماها (سورة الحديد)، لم يكن هذا عبثاً ، إنه يذكّرنا بأهمية هذا المعدن في حياة الإنسان ، قرنه الله بالكتاب والميزان : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحديد: ٢٥) ، كلمة ﴿ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ : إشارة إلى الصناعات العسكرية ، مثل الدبابات والصواريخ والمدافع الثقيلة والغواصات . وكلمة ﴿ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ ﴾ : إشارة إلى الصناعات المدنية . ونحن للأسف لم نتقن هذه ولا تلك . لا الصناعات الحربية ، ولا الصناعات المدنية . نحن في مجتمعاتنا عالة على غيرنا .

الله تعالى يقول : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (الأنفال: ٦٠) ، فلم نستجب لله ، ولم نعد ما استطعنا . أصبحت كل أسلحتنا من عند غيرنا ، يعطينا ما يريد من الأسلحة ، وكيف يده متى شاء ، ويشترط علينا شروط استخدام هذه الأسلحة . لو حدث في هذه الأسلحة عطل أو خلل أو شيء ماذا نصنع ؟ حدث في بعض بلاد الخليج ، أن محطة الكهرباء تعطلت فنصف المدينة أو ثلثها ، توقفت الحياة ، لا ثلاجة ، ولا مروحة ، ولا تكييف ، ولا إضاءة ، ولا شيء ، ونظل في انتظار الخواجة الذي صنع الماكينة ، وأقام محطة الكهرباء حتى يأتي ليصلحها ، عندنا فلوس صحيح ، لكن ما قيمة الفلوس ، نشتري التكنولوجيا؟ التكنولوجيا لا تُشترى ، التكنولوجيا تعلم وتصنع ، لكن إذا كنت أنا اشتري التكنولوجيا فصاحب التكنولوجيا هو الذي يتحكم في . ينبغي تعلم صناعة الحديد .

بل حتى الزراعة لم تتقنها ، معظم بلاد الإسلام بلاد زراعية ، ذات خصوبة عالية ، ومع هذا معظمها يستورد أكثر من نصف أقواتها ، القوت الضروري نستورده ، ونحن بلاد زراعية . بعض البلاد تستورد من الخارج من كل عشرة أرغفة سبعة أرغفة ،

إذا الخارج توقّف عن إنتاج القمح والدقيق ، ماذا أصنع؟ إذن أهلك أو أموت جوعاً ، هو يتحكم فيّ ، لذلك لا أستطيع أن أكون سيّداً في أرضي ، أن أتخذ قراري من رأسي .

كما يقول شيخنا الشيخ الشعراوي : إذا لم يكن قوتي من فأسي ، فلن يكون قراري من رأسي .

الفأس يعني أن نشتغل في الأرض ، لا نعتمد على غيرنا . الأمة التي علّمها نبيها أن تغرس وتزرع ، وعلمها « ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً ، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة »^(١) .

ويقول فيما رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد : « إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة ، فإذا استطاع ألا تقوم - أي الساعة - حتى يغرسها ، فليغرسها »^(٢) .

ولماذا يغرسها؟ يغرسها لأن المسلم منتج ، معطاء ، عامل مستمرّ في عمله حتى تلفظ الحياة آخر أنفاسها ، سواء انتفع

(١) متفق عليه : رواه البخاري في المزارعة (٢٣٢٠) ، ومسلم في المساقاة (١٥٥٣) ، كما رواه أحمد (١٣٥٥٤) ، والترمذي في الأحكام (١٣٨٢) ، عن أنس .

(٢) رواه أحمد (١٢٩٨١) وقال مخرجوه : إسناده صحيح على شرط مسلم ، والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩) . عن أنس ، وصححه الألباني .

بهذا الشيء أم لم ينتفع به إلا قليل ، أو لم ينتفع به أحد قط ،
ويتعبد لله بالغرس ، كان في يده فسيلة يغرستها ، أو شتيلة
يشتلها .

هذا هو الإنسان المسلم ، ومع هذا فنحن لا نغرس
ولا نزرع ، ونستورد من عند غيرنا ، لا زراعة ولا صناعة .

قال النبي ﷺ : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل
من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » ^(١) .
وكان يعمل حدادا ويشغل في صناعة التروس . ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ
صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُخَصِّنْكُمْ مِّنْ بِأَسْكُمُ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾
(الأنبياء: ٨٠) ، ﴿ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِيغَتٍ وَقَدَّرَ فِي
السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ (سبأ: ١٠، ١١) ، يعمل ويسبح الله ،
وتتجاوب معه الجبال والطيور يسبحن معه بالعشي والإشراق .
يعبد الله من ناحية ، ويشغل في الحدادة وصناعة الدروع من
ناحية أخرى ، هذا الذي ينبغي أن يكون .

كيف نستطيع أن نهض ونواجه هذا التحدي لنصبح مجتمعا
متقدما لا عالة على غيرنا ، حتى في أخص الشئون ، هل
نستطيع؟ نستطيع ، عندنا كل الإمكانيات ، ما الذي يمنعنا؟

(١) رواه البخاري في البيوع (٢٠٧٢) ، والطبراني في الكبير (٢٦٧/٢٠) ،
عن المقدم بن معد يكرب .

هل نحن أقلُّ من غيرنا؟ لا لسنا أقلُّ من غيرنا ، نحن بدأنا النهضة في البلاد العربية ، ومصر بالذات هي أول بلد نهض في هذه الناحية ، مع اليابان ، وربما قبل اليابان بقليل ، أيام محمد علي باشا ، انظر أين اليابان الآن وأين نحن؟! نحن كما قلنا : نستورد من الإبرة إلى الصاروخ . واليابان أصبحت (البُعبُع) المخيف لأمريكا نفسها ، البلد الذي هزم في الحرب العالمية الثانية ، وجُرد من السلاح ، ومن الجيش ، فكَّر في مشروع آخر يستطيع أن ينتصر به ، وأن يتغلَّب على غزاته ، أن يعمل في جانب العلم والتكنولوجيا والاقتصاد ، وفعلاً فعل هذا وتفوَّق على غزاته . دعونا من اليابان .

هناك بلاد بدأت من وقت قريب جداً ، كوريا بدأت بعد الحرب العالمية الثانية ، وبدأت من الصفر ، انظروا أين هي الآن ؟ تغزو أسواق العالم . ما ذهبتُ إلى بلد في أوروبا أو أمريكا أو أستراليا أو أيِّ مكان في العالم إلا وجدت المنتجات الكورية ، جندوا الشعب كله للعمل ، والعمل الجاد ، فأنجحوا .

ما الذي يعجزنا ؟

هل نحن أقلُّ ذكاءً من غيرنا؟ هل هذا قدر مكتوب علينا؟ القدر لم يكتب علينا هذا . هل هذه طبيعة الإسلام ، كما ادَّعى

بعض الناس : أن طبيعتنا الدينية هي التي جعلتنا نتخلف؟ هذا كذب لأن التاريخ يُكذِّب هذا ، يوم كنا مسلمين حقاً صنعنا أعظم حضارة في التاريخ ، الحضارة التي جمعت بين العلم والإيمان ، وحققت العدل والإحسان ، وأقامت حضارة ربانية إنسانية أخلاقية ، حضارة التوازن بين الحقوق والواجبات ، بين الرُّوح والمادة ، ربطت الأرض بالسماء ، والدنيا بالآخرة .

ما الذي يعجزنا نحن؟ كنا أصحاب الحضارة الأولى في العالم ، كانت جامعاتنا هي موئل الطلاب من أوروبا وغير أوروبا . أوروبا وصل إليها المنهج التجريبي والعلم التجريبي عن طريق بلاد المسلمين ، عن طريق عواصم الحضارة ، وخصوصاً قرطبة والأندلس وصقلية وغيرها ، تعلّموا منا ، (فرانسيس بيكون) و(روجر بيكون) اللذان يقولان إنهما أبوا الفلسفة التجريبية والمنهج التجريبي ، تعلّموا هذا من الحضارة الإسلامية . هذا ما ذكره مؤرّخو العلم . مؤرّخ العلم (جورج سارتون) في كتابه (تاريخ العلم) ، و(بريفولت) في كتابه (بناء الإنسانية) ، و(درايبر) في كتابه (النزاع بين العلم والدين) ، و(جوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب) ، كلُّ هؤلاء أقرُّوا أن العرب سبقوا بالمنهج العلمي ، وطبقوه بالفعل ، لذلك برعوا وسبقوا في الطبِّ والتشريح والكيمياء والفيزياء

وتقويم البلدان والفلك وغيرها ، وأسماء علماؤنا هي الأسماء الشهيرة في العالم كله ، هذا معروف ومقرر .

مَنْ يجهل اسم جابر بن حيان ، أو الحسن بن الهيثم ، أو البيروني ، أو الخوارزمي مخترع علم الجبر والمقابلة ، أو الرازي ، أو ابن رشد ، أو غير هؤلاء كثيرون . إذن الإسلام لا يمنعنا ، بالعكس الإسلام يعطينا الحوافز ، يعطينا الطاقة ، ويعطينا الأهداف أيضاً التي نسعى إليها ، ويرسم لنا المناهج السليمة ، يعطينا الطاقة التي تجعل الإنسان يعمل بأضعاف ما يعمل غيره بالطاقة الإيمانية ، الإيمان هو الذي يفجر القدرات المختزنة ، والطاقات المكنونة عند الإنسان ، فيصنع الأعاجيب ، والله تعالى يقول : ﴿ يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنفال: ٦٥)، فمعنى هذا أن الفرد إن كان عنده الإيمان ﴿ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وعنده الإرادة ﴿ عِشْرُونَ صَابِرُونَ ﴾ ، الصبر وقوة الإرادة ، فممكن أن يعمل بعشرة أضعاف طاقة غيره ، وفي حالة الضعف ممكن أن يعمل بضعف الغير : ﴿ أَلَعَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ (الأنفال: ٦٦)، إذن

الإسلام يمكن أن يعطينا قوّة هائلة ، و طاقة غير محدودة ، هذا الذي ذكره القرآن في المجال العسكري ، وكذلك الأمر في المجال الحضاري ، والمجال الإنتاجي والاقتصادي .

تستطيع الأمة أن تعمل ، ولكن الواقع - أيها الإخوة - أن الأمة لا تعمل ، نحن مجتمعات لا تعمل كما ينبغي ، نحن أقل المجتمعات عملاً ، دعونا نصارح أنفسنا بالحقائق ، زرنا بلاداً كثيرة فوجدنا الناس تجتهد وتتعب ، وتكدح وتعاني من أجل الكسب والعمل ، يعملون فترتين في النهار ، هكذا رأيناهم في أوروبا وأمريكا ، الإنسان يستيقظ في الصباح الباكر ويذهب إلى عمله ، ليصل الساعة الثامنة صباحاً ويعمل بلا كلل إلى الساعة الثانية عشر ، ثم يأخذ فترة الغداء في مكان العمل نفسه ساعة ، ثم يبدأ من الساعة الواحدة إلى الساعة الخامسة ، ثم ينتهي ويعود إلى البيت . وهكذا يواصل ، في آخر الأسبوع (Week end) يرفّهون على أنفسهم ، ويلعبون كما يريدون .

كنتُ في ألمانيا مرّةً فمشيتُ في الطريق فلم أجد ناساً ، لا زحام ، ولا ناس على الأرصفة فسألتُ أحدهم : أين الناس؟ قال : الناس في أعمالهم .

وبعد الساعة السابعة نظرتُ فلم أجد أحداً قلتُ له : أين الناس؟ قال : الناس عادوا من أعمالهم إلى بيوتهم ، الناس تتعب طوال اليوم فيرجعون متعبين مهودين ، فيأوون إلى بيوتهم يتعشّون ويجلسون مع أولادهم ، ويسمعون نشرة الأخبار ، وينامون مبكرين ؛ لأنهم يستيقظون مبكرين فوراءهم عمل جاد .

في بلادنا نجد الناس تملأ الشوارع ليلاً ونهاراً ، وتذهب إلى المصالح والمكاتب لا تجد عليها أصحابها ، وإذا وجدت عليه صاحبه وجدته يقرأ الصحيفة ، أو يشرب القهوة ، أو يدخن السجارة ، أو يتكلم مع صاحبه ، ويكلمك من طرف أنفه ، ويقول لك : تعال بعد أسبوع ، أو بعد كذا يوم . ولا يقضي عملاً .

إن المجتمع الذي أقرّ هذه الصناعة ، وأقام هذه النهضة ، لم يقيمها من فراغ ، ولم يقيمها اعتباطاً ، بل أقامها بعد جهدٍ جهيد ، لذلك إذا أردنا أن ننهض بالفعل قلنا : لا بدّ من عمل ، من علم وعمل ، لا بدّ من علم صحيح . هذا معناه أنه لا بدّ أن تقوم مناهجنا على أساس تربويٍّ صحيح ، يخرج عقلية علمية ، لا بدّ من هذا . لكن التعليم في معظم بلادنا يُخرج موظفين ، ويخرج ناساً يحفظون بعض النصوص ، ولكنهم لا يعرفون شيئاً . في بعض البرامج التي أُذيعت في

رمضان في بعض أوقات التلفزيون ، فضائح ، خريجون يسألون عن أبسط الأشياء فلا يجيبون .

أمريكا منذ سنوات كانت تراجع أنظمتها ومناهجها التعليمية، وأُلف في ذلك كتاب مشهور ترجمه أحد أصدقائنا، الدكتور يوسف عبد المعطي (أمة على حافة الخطر) ، أمة على حافة الخطر لماذا ؟ لأن النظام التعليمي فاسد ، والمناهج التعليمية فاسدة ، والناس الذين يتخرجون ليسوا متعلمين حقيقيين ، ليس عندهم فهم ولا ثقافة ، وجاءت بخبراء من اليابان لينظروا في مناهجهم التعليمية ، ويقولون : ماذا تقترحون علينا؟ أمريكا لم تجد حرجاً أو خجلاً من هذا .

نحن في حاجة إلى تخريج عقلية علمية ، القرآن ينشئ هذه العقلية ، بعض الناس يظن أن الدين ليس له علاقة بالعلم ، وربما ظن بعض الناس أن الدين يناقض العلم ، هذا قد يكون صحيحاً بالنسبة للنصرانية والكنيسة ، لكن نحن الدين عندنا علم ، والعلم عندنا دين ، الدين عندنا علم ؛ لأنه قائم على أساس العقل : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ (البقرة: ١١١) ، ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا ﴾ (يونس: ١٠١) ، ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ (الأعراف: ١٨٤) ، ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ١٦٤) ، ﴿ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الرعد: ٣) . الدين قائم على أساس الحجّة والبرهان . قال علماؤنا : إن العقل

أساس النقل . لماذا ؟ لأن أعظم قضيتين من قضايا الوجود أساس إثباتهما هو العقل : وجود الله وإثبات النبوة .

إذا أردت أن تخاطب الشيوعية وأن تناقشها ، إذا أردت أن تثبت وجود الله ، فهل تقول له : قال الله تعالى وقال الرسول؟! وهو لا يؤمن بالله ولا بالرسول ، فلا بد إذن أن تخاطبه بالعقل ، إذا أردت أن تثبت له أن محمدا نبي من عند الله ، لا بد أن تثبت له هذا بالعقل ، أعظم القضايا الدينية ثابتة بالعقل .

لهذا نقول : الدين عندنا علم ، والعلم عندنا دين ، لأن طلب العلم فريضة وعبادة عندنا ، علم الدين وعلم الدنيا ، حتى علوم الدنيا ، فقهاؤنا قالوا : كل علم دنيوي يحتاج إليه المسلمون ، فإن تعلمه وإتقانه فرض كفاية . علم الطب ، علم الحساب ، علم الهندسة ، علم الفيزياء ، أي علم من العلوم لا بد أن يتعلمه المسلمون ويتقنوه ، ويكون عندهم عدد كافٍ من العلماء والخبراء المتخصصين فيه ، بحيث لا يحتاجون إلى غيرهم ، لكن ليس عندنا مشكلة بين العلم والعقلية العلمية ، بل القرآن هو أعظم ما ينشئ العقلية العلمية ، كنت أقول لبعض الإخوة الذين يهتمون بالتفسير العلمي للقرآن ، أو الإعجاز العلمي للقرآن ، أقول لهم : إن أعظم من هذا كله أن القرآن ينشئ العقلية العلمية . ما معنى العقلية العلمية؟ العقلية التي ترفض الخرافة ، ولا تقبل شيئا إلا ببرهان ، ﴿ قُلْ

هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴿ (البقرة: ١١١) ، العقلية التي ترفض التقليد ، ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾ (الزخرف: ٢٢) ، ﴿ إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴾ (الأحزاب: ٦٧) ، العقلية التي ترفض الظنَّ في موضع اليقين ، ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ (يونس: ٣٦) ، العقلية التي ترفض الميول الشخصية في المقام العقلي والعلمي ، ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴾ (النجم: ٢٣) ، ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (ص: ٢٦) ، العقلية الموضوعية الحيادية التي تنظر إلى الأمور وتتفكر ، ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا ﴾ (يونس: ١٠١) ، ﴿ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ (الأعراف: ١٨٤) ، هذه هي العقلية العلمية التي ينشئها القرآن ، ولا عجب أن قامت الحضارة الإسلامية على هذا الأساس ، نجد كثيراً من العلماء الذين نبغوا في الحضارة الإسلامية كانوا علماء دين ، الخوارزمي الذي اخترع الجبر والمقابلة هذا ، إنما اخترعه لأنه كان يؤلف رسالة في الفقه ، في الوصايا والمواريث ، ورسالته التي اخترع فيها الجبر نصفها فقه ونصفها رياضة ، يعرف ذلك مَنْ رَأَى هذه الرسالة؟ وقد نشرها بعض أساتذة الرياضة ، وعلّقوا على نصفها الثاني ، ولم يعلّقوا بكلمة على نصفها الأول ، لأن علماء الرياضيات في عصرنا طبعاً لا يعرفون في الفقه شيئاً ، أما الخوارزمي فهو فقيه ورياضي .

ومثل ابن رشد ، وهو فيلسوف ، وأعظم شرّاح
أرسطوطاليس ، نقل فلسفة أرسطو الى العالم الغربي بشروحه ،
وهو فيلسوف إسلامي له كتبه المشهورة ، وهو كذلك طبيب ،
صاحب كتاب (الكلّيات) في الطب ، الذي كان مرجعاً لأوروبا
عدّة قرون ، وهو مع ذلك فقيه مالكي ، كان قاضياً شرعياً ،
وله في الفقه المقارن كتاب (بداية المجتهد ونهاية المقتصد)
المعروف ، لا ليس عندنا مشكلة من هذه الناحية ، القرآن هو
الذي ينشئ العقلية العلمية ، وهو الذي يحفزنا ، يعطينا
الحوافز لكي نقيم مجتمعاً علمياً عملياً تقدّمياً ، لبنينه بناء
عصرياً .

الإمكانات المادية للنهوض :

ما الذي يمنعنا إذن من النهوض؟ عندنا إمكانات النهوض ،
الإمكانات المادية موجودة والحمد لله ، مجتمعاتنا الإسلامية
تعيش في أخصب بلاد الله بقعة ، وأطيبها رقعة ، بلاد فيها
خصوبة من الناحية الزراعية ، وفيها تكامل ، البلد هذه فيها
نפט ، والبلد هذه فيها أرض زراعية ، والبلد هذه فيها منجنيز ،
وهذه فيها حديد ، وهذه على السواحل ، وهذه في الصحراء .
يتكامل هذا العالم الإسلامي لكي يصنع عالماً عظيماً ،
ولكن بشرط أن ندخل عصر التكنولوجيا المتطورة جماعة
لا فرادى ، كما نصليّ لله جماعة ، ينبغي أن ندخل هذا العصر
جماعة ، العالم الآن يتكتّل ويتلاحم ، أوربا التي تقاتلت في

ما بينها قروناً ، قاتل بعضها بعضاً ، رغم هذه الحروب ، ورغم الزمن الطويل التي استهلكته ، أوربا ، الآن تتلاحم وتتقارب ، تصنع سوقاً اقتصادية واحدة ، وتوشك أن تجعل من نفسها كتلة سياسية واحدة - نحن درسنا تاريخ أوربا في معاهد الأزهر ، درسناه أكثر من تاريخ الإسلام ، وعرفنا الحروب التي استمرت بينها - ونحن نتمزق ، ونفترق ، ونشبت التجزئة القائمة ، ومع هذا نريد أن ننهض ، لن نستطيع أن ننهض بهذا ، إمكانات النهوض موجودة ، إمكانات النهوض عندنا من الناحية المادية موجودة ، ومن الناحية البشرية .

نحن المسلمين نملك طاقات بشرية هائلة ، ألف ومائتا مليون مسلم^(١) ، العرب مائتا مليون ، وعندنا عقلیات جيدة ، وأكثر هذه العقلیات أو كثير منها هاجر إلى البلاد الأخرى ، في تخصصات نادرة بقوا في أوربا وأمريكا ، لأن كثيراً منهم وجد أنه إذا عاد إلى بلده لا ينتفع به ، بينما ينتفع به أولئك ، ويدفعون له أعظم الرواتب ، ويحققون له أفضل المناخات المطلوبة ، لينتج ويعمل وينبغ ، نحن لا نهيئ له هذا ، مناخ صحي ، جو إيجابي يعين هذه العقول النابغة على الابتكار ، وعلى الإنتاج ، لا بد أن يشعر الشخص بكيانه وحرية وكرامته ، بعض البلاد العربية من بلاد النفط في وقت من

(١) العدد الآن يبلغ ١٦٥٠ مليوناً أو يزيد ، والعرب أكثر من ثلاثمائة مليون .

الأوقات أخذتها صحوة وثورة حماسية ، وقالوا : نريد أن نقيم مدينة علمية ، هاتوا كلَّ العرب والمسلمين من المهاجرين الذين يعملون في أوربا وأمريكا . وذهب مندوبوهم وقالوا : تعالوا ، سنقيم لكم مدينة علمية نحقق لكم فيها ما تريدون ، ونهيئ لكم كلَّ ما تريدون . وجاء الناس وصدقوا هذا ، جاءوا من عرب ومن باكستانيين ومن ماليزيين ومن هنود ومن غيرهم ، ثم ذهبوا ، أول ما نزلوا من المطار أخذوا جوازاتهم واستبقوا الجوازات عندهم ، إذا أراد أحدهم أن يسافر لا يستطيع ، شعروا بعد فترة أنهم مسجونون ، فقالوا : لقد كنا في بلاد نعيش فيها أحراراً . فما إن أتيحت لأحدهم فرصة ، اخترع كل واحد سبباً للسفر ، ثم إذا ركب الطائرة قال ما قال الشاعر قديماً :

عَدَسٌ : مال لِعَبَادِ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ نَجُوتَ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقٌ^(١)
يحتاج الإنسان لكي ينتج أن يشعر بكيانه ، بكرامته ، بوصفه إنساناً ، الأدب العربي يحكي لنا قصة ، قصة عنصرة ابن شداد العبسي ، كان أسود اللون وأبوه يعامله كأنه عبد من العبيد ، ثم أغارت إحدى القبائل يوماً على بني عبس ، وانهزم الفرسان أمامهم ، وكاد الناس يدخلون على الحرّيم ويسبون النساء ، وعنصرة يتفرّج ، وأبوه ينظر إليه ، قال له : كرّ . قال له : يا أبت ، العبد لا يحسن الكرّ ، وإنما يحسن الحلافة والصر .

(١) من شعر : ابن مفرغ الحميري .

فقال له : كُـرْ وَأنت حر . فامتطى جواده وأخذ سيفه ورمحه ، وبدأ يهاجم المغيرين ، ويرتدون أمامه وينسحبون ، حتى هزمهم^(١) .

بدأ الناس يقولون : عنترة عنترة عنترة ، لولا عنترة لسبي النساء ولأخذ المال .

ما الذي جعله يفعل هذا ؟! قول أبيه : كُـرْ وَأنت حر . أعطني حريتي وكرامتي أشتغل . بينما حينما يكون الإنسان في بلد لا يشعر فيه بالكرامة والحرية ، ويرى أن ما يعملته ثمرته لغيره ، نحن لنا النوى ولغيرنا التمر ، نحن نزرع القمح ونأكل الطين ، نعم ، فالإنسان لا يعمل .

لا بد أن يشعر بالعدل ، كما يقول شاعر آخر :

وإذا تكون كرهية أدعى لها وإذا يُحاس الحيسُ يدعى جنده^(٢)
يعني : في الكراهة والشدائد ينادى هو ، أدركنا : يا فلان . لكن إذا صنعوا الحيس ، وعملوا العصيدة ، وعملوا الحلوى ، يدعون أخاه الآخر ، لينال المغنم ، فواحد له المغنم ، وواحد عليه المغرم ! .

شعور الناس بالظلم لا يجعلهم يعملون ، لذلك نحن في حاجة إلى هذا الجو الإيجابي حتى يعمل الناس ، إمكانات

(١) انظر : الأغاني للأصبهاني (٢٤٦/٨) .

(٢) من شعر : ابن الرومي .

النهوض موجودة ، عندنا القدرات المادية ، وعندنا الطاقات البشرية ، وعندنا فوق ذلك القوة الروحية : نحن نملك ما لا يملك غيرنا ، نملك الرسالة الخاتمة ، الرسالة الخالدة ، رسالة محمد ﷺ .

نملك الوثيقة السماوية الوحيدة التي لم يعترها تحريف ولا تبديل ، نملك القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

نملك السنة النبوية والسيرة المحمدية ، التي فيها موضع لكل مقتدٍ ، السيرة الجامعة ، يستطيع كلُّ إنسان أن يجد فيها موضعاً للأسوة ومكاناً للقدوة .

نحن نملك ما لا يملك غيرنا ، نستطيع أن نهض إذا صحَّ توجُّهنا ، ولن يصحَّ توجُّهنا إلا بالإسلام ، أن نكون مسلمين حقاً ، نعتزُّ بإسلامنا ، ونقول ما قاله ابن الخطاب : نحن كنا أذل قوم فأعزَّنَّا الله بالإسلام ، فمهما نلتمس العزة بغيره أذلَّنَّا الله^(١) .

الإسلام لا نعتز به بمجرد الكلام ، ولكن ، اعتزازاً يتمثل في العمل .

(١) رواه الحاكم في الإيمان (٦٢/١) ، وصححه على شرطهما ، ووافقه الذهبي .

الأفراد يعملون به ، الأسر تتمسك به ، الدولة تتمسك به
تشريعاً وقانوناً وأخلاقاً وثقافةً وإعلاماً ، لا بد أن يكون
الإسلام أساس هذا كله ، فلا نأخذ ببعض الإسلام دون بعض ،
فيكون الإسلام في المسجد ، ولكن لا علاقة له بالتلفاز ،
الإسلام في البيت ولكن لا علاقة له بالجامعة ، أو الإسلام
ناحية الفرد لا الجماعة .

لا بد أن يكون الإسلام في كل شيء ، في التربية ، في
التشريع ، في الثقافة ، في الإعلام ، في المسجد ، في حياة
الفرد ، في حياة الأسرة ، في حياة المجتمع ، في الطريق ، في
المزرعة ، في المصنع ، في المحكمة ، في كل مكان .

« اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق
الناس بخلق حسن »^(١) ، ﴿ فَأَيُّهَا تَوَلَّوْا فَمَّا وَجَّهَ اللَّهُ ﴾
(البقرة: ١١٥) .

لكي نكون مسلمين حقاً لا بد أن نرجع إلى الإسلام في
حياتنا ، إذا رجعنا إلى الإسلام سيصنع الإسلام منا الأعاجيب ،
سيفجر الطاقات المكنونة ، سيظهر المبتكرون ، سيظهر
العاملون ، سيتعبد الناس بالعمل ، نحن في حاجة إلى رسالة
روحية إيمانية أخلاقية لكي نلحق بغيرنا ، كيف نلحق

(١) رواه أحمد (٢١٥٣٦) وقال مخرجه : حسن لغيره ، ورواه الترمذي
في البر والصلة (١٩٨٧) وقال هذا حديث حسن صحيح ، وحسنه
الألباني في صحيح الجامع (٩٧) ، عن أبي ذر .

بالعصر؟ كيف نلحق باليابان؟ كيف نلحق بكوريا؟ كيف نلحق
بعصر التفوق والتقدم؟ إذا لم يكن عندنا رسالة ذات أهداف
كبرى ، تستطيع أن تجنّد الناس تجنيداً .

بدون هذا سيظل الناس في خمول ، في همود ، في رقود ،
في نومة أهل الكهف .

لن يوقظ الناس من سُبات ، ولن يحييهم من موات : إلا
الإسلام ، إلا الإيمان . هذا جربناه في كلّ شيء ، لم ينفع
حينما عزفنا على الناس بنعمة القومية العربية ، أو نعمة
الاشتراكية الثورية ، أو نعمة الليبرالية الرأسمالية ، أو أي نعمة
من هذه النعمات أو هذه المعزوفات ، كلها لم تحرّك ساكناً
فيها ، ولم تنبّه غافلاً في مجتمعاتنا .

لم تحشد الطاقات ، القادر على حشد الطاقات وتفجيرها
وصناعة شيء من هذه الأمة هو الإسلام ، أن تنفخ في هذه
الأمة روح الإيمان ، هذا وحده هو الذي يجعلنا ننهض ،
إمكانات النهوض موجودة إذا أحسنّا الانتفاع بها ، ولا نهوض
إلا على أساس من الإسلام .

الإسلام الصحيح لا إسلام الغلاة المتشدّدين ولا إسلام
المترخّصين المتسيبين ، إسلام الوسط ، الإسلام الأول ، إسلام
القرآن والسنة ، الإسلام كما فهمه الصحابة ومن تبعهم
بإحسان ، هذا الإسلام هو القادر على أن يحيي هذه الأمة ،

وبينها من جديد ، إذا أحسنًا فهمه ، وأحسنًا تطبيقه ، لا أن
نشتغل بالجزئيات عن الكلّيات ، ولا بالفروع عن الأصول ،
ولا بالشكل عن الجوهر ، ولا بالنوافل عن الفرائض ،
ولا بالمختلف فيه عن المتفق عليه ، ولا بأعمال الجوارح عن
أعمال القلوب .

الإسلام الذي يعرفنا الحقائق الكبرى ، لتستير بها عقولنا ،
وتطمئن بها قلوبنا ، وتحيا بها ضمائرنا ، وتصدق بها عزائنا
هذا الإسلام هو وحده القادر على أن ينشئنا من جديد خلقًا
آخر ، إذا أحسنًا الفهم وأحسنًا التطبيق .

لم يكن الإسلام مجرد شعارات ، ولا مجرد لافتات ،
ولا مجرد دعاوى ، ولا مجرد خطب تقال ، ولكن يتمثل في
حقائق عملية ، يتمثل في علم وعمل وسلوك ودعوة وجهاد .

هذا الإسلام وحده - أيها الإخوة والأخوات - هو القادر
على النهوض بهذه الأمة من جديد لتتبوأ مكانتها ، وتؤدي
دورها كما أراد الله لها ، لتكون بحق أمةً وسطاً ، وخير أمةٍ
أخرجت للناس .

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل يوم هذه الأمة خيراً من
أمسها ، ويجعل غدها خيراً من يومها ، إنه سميعٌ قريبٌ .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم ، وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الأسئلة

هل تسير الأمة من سيئ إلى أسوأ؟!؟

السؤال : شيخنا الفاضل ، رغم تحذيراتكم وغيركم من العلماء الأفاضل منذ أكثر من ثلاثين سنة ، إلا أن هذه الأمة تسير من سيئ إلى أسوأ ، وأرى أن همّها الوحيد هو التكالب على المال فقط ، فهل أصبحت هذه الأمة ظاهرة صوتية كما يقولون؟ ويبقى السؤال ، ثم ماذا بعد؟

الجواب : يبدو لي أن الأخ ينظر من وراء نظارة سوداء قاتمة ، فلا يرى إلا السوء ، الواقع أنه من ينظر إلى الأمور بإنصاف واعتدال يرى أن هناك تقدماً في أشياء كثيرة جداً ، يرى هذه الصحوة الإسلامية التي نلمس آثارها في كل مكان ، عاينتها ، رأيتها بعيني ، ولمستها بيدي ، فكانت في بلاد العرب ، وبلاد العجم ، العالم الإسلامي وخارج العالم الإسلامي ، حتى في الجاليات والأقليات الإسلامية في الشرق والغرب ، هذه الصحوة ، وهي صحوة علم وفكر ، وصحوة مشاعر وحماس ، وصحوة إرادات وعزائم ، وصحوة التزام وسلوك .

من ينكر هذا الشباب الذي يملأ المساجد ، كانت المساجد قديماً لا يكاد يؤمّها إلا المحالون على التقاعد ، الإنسان حينما يقترب من القبر يريد أن يختم حياته بالذهاب إلى المساجد . فمن الذي يرتاد المساجد الآن؟ الشباب .

مواسم الحج والعمرة ، كان الذين يحجُّون قديماً هم الشيوخ الكبار ، كما قال بعضهم ، الحجُّ هو تمام الأمر وختام العمر . الآن اذهب إلى المواسم تجد الأغلبية العظمى من الشباب .

مَن الذي يقرأ الكتاب الإسلامي الآن؟ الكتاب الإسلامي هو صاحب الرقم الأول في سوق التوزيع في كلِّ معارض الكتب ، مَن ينكر أن المكتبة الإسلامية الآن فيها عشرات ومئات الكتب على المستويات المختلفة ، بعضها سطحي وبعضها عميق ، وبعضها دراسات أكاديمية ، وبعضها رسائل ماجستير ودكتوراه .

لقد كنتُ وأنا أُعدُّ لكتابي فقه الزكاة منذ أكثر من ثلث قرن ، أبحث عن كتب في الاقتصاد الإسلامي ، فلم أجد إلا كتاباً أو اثنين ، ولم أجد كتباً ، حتى أنني كنتُ أقرأ كتب الاقتصاد السياسي ، ولا أجد الإسلاميين يشيرون إلى الاقتصاد الإسلامي بسطر واحد ، يتكلمون عن الاقتصاد الرأسمالي والاقتصاد الاشتراكي ، وعن اليونان ، وعن الرومان ، وعن الفرس ، لكن لا يوجد شيء اسمه اقتصاد إسلامي ، الآن مئات الكتب ، عشرات رسائل الدكتوراه والماجستير في الاقتصاد الإسلامي ، مراكز أبحاث الاقتصاد الإسلامي ، أقسام في الجامعات ، أساتذة متخصصون في الاقتصاد الإسلامي ،

مجالات في الاقتصاد الإسلامي ، مؤتمرات تقام عن الاقتصاد الإسلامي ، بنوك تعمل في إطار الاقتصاد الإسلامي ، شركات اقتصاد إسلامي ، أليس هذا كله صحوة إسلامية؟!

فالصحوة الإسلامية تجسّدت فكرياً في كتب ومكتبات ، تجسّدت عملياً في هذه البنوك ، وتجسّدت جهادياً في حركات الجهاد الإسلامي في فلسطين الآن ، بعد أن كان العلمانيون هم الذين يقودون حركات النضال كما يسمونها ، تمثّلت في أفغانستان ، تتمثّل الآن في البوسنة ، تتمثّل في الفلبين .

فلا شك أن الصحوة الإسلامية حقيقة ، لا يستطيع أحد أن ينكر ذلك .

بل إن حركة المرأة المسلمة في صحوة أيضاً ، في وقت من الأوقات لم نكن نجد امرأة محجّبة ، كنت أمشي في بعض العواصم العربية في الستينيات لا أرى امرأة محجّبة ، تجد امرأة عجوزاً أكل الدهر عليها وشرب ، ومع هذا تلبس ما يسمونه (الجابونيز) ، ألا تستحي من نفسها . وكان الحجاب تهمة في ذلك الوقت ، الآن ادخل الجامعات والكليات والمعاهد والمدارس ، واذهب إلى الأسواق وامش في الطرقات ، تجد هذه الظاهرة ، ظاهرة نسائية طوعية .

فكيف يقول الأخ : إننا بنسير من سيئ إلى أسوأ . لا بل نحن في تقدّم كبير .

لكي نستطيع أن ننهض لا بدّ أن يكون عندنا أمل ،
والحقيقة أن هناك إيجابيات كثيرة ، صحيح أن الصحوة
الإسلامية أزعجت القوى المعادية للإسلام ، وهيجت غرائز
الشرّ فيه ، ولذلك بدأوا منذ فترة يكيّدون لهذه الصحوة ،
ويبيّتون لها الشرّ ، ومن الشرّ الذي يبيّتونه أنهم أوقدوا نيران
الفتنة بين الحكّام وبين الذين يمثّلون هذه الصحوة ،
وأفهموهم أن هذه الصحوة خطرٌ عليكم ، وإن الأصوليون
لا يأتون إلا بالشرّ . وبدأت عمليات في أكثر من بلد ، هذا
نتيجة ماذا ؟ نتيجة الصحوة ، الصحوة خوّفت هؤلاء الناس ،
ولذلك عملنا أن نبيّن للمسؤولين في بلاد الإسلام : إنه لا نجاة
إلا بالإسلام ، وأن هؤلاء الإسلاميين الذين يخوّفونكم منهم
ليس بغيرهم النجاة . نحن نرى الشباب الآن الذين تعمل فيهم
الشبكات ، الشبكات العالمية - إسرائيل والصليبية وغيرهم -
لصيدهم عن طريق التهنّك والتحلّل ، أو عن طريق المخدّرات
والسموم البيضاء والخضراء، مَنْ الذي ينجو من هذه المهالك ؟
الشباب المسلم ، الشاب الملتزم لا يمكن أن يقع في هذه
الشبكة ، لأنه لا يذهب إلى الأماكن المشبوهة ، ولا يعرف
السجائر ، فهذا هو المعصوم ، وليس كونه معصوماً أنه نبيّ ،
لا ، بل يعني إنه حفظه الإسلام ، وعصمه الدين والإيمان .

فأنا أخالف الأخ بإننا لم نصنع شيئاً ، لا ، صنعنا الشيء الكثير ، والذي صنعناه هو الذي أيقظ أعدائنا ، وجعلهم يفعلون ما يفعلون .

فعلينا أيضاً أن نستيقظ من جديد لنقاوم هذه الهجمة ، ولا نياس إن شاء الله ، وإنا بإذن الله لواصلون .
دور رجال الشرطة في النهضة :

السؤال : فضيلة الدكتور ، رجاء تحديد دور رجال الشرطة للنهوض بالمجتمع الإسلامي مادياً وروحياً ؟

الجواب : حقيقة والله ، إن رجل الشرطة له أهمية كبيرة في كثير من البلاد الإسلامية والعربية ، رجل الشرطة هذا الذي يعتبره الناس كأنه عدو لهم ، ففي مصر مثل يقول : (إذا كان ذراعك عسكري اقطعه) . لماذا؟ من طول ما عانى الناس من ظلم العساكر ، وكانت الشرطة تستخدم كأدوات للظالم ، والحديث يقول : « صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات . . . » ^(١) . فهؤلاء الجلادون .

نحن نريد رجال شرطة مؤمنين ، يقولون : (الشرطة في خدمة الشعب) . هذا هو الذي ينبغي أن يتحقق ، أن يعتبر رجل الشرطة نفسه فعلاً خادماً للشعب ، وليس سوطاً

(١) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٨) ، وأحمد (٨٦٦٥) ، عن أبي هريرة .

للحكومة ، إنما هو خادم للشعب ، عليه أن يعامل الناس معاملةً حسنة ، ولذلك لا بدّ من توعية لرجال الشرطة . وهذا بداية طيبة من هذا النادي ، وهي تدلّ على توجّه طيّب . نحن لا نريد جنوداً لفرعون ، فالقرآن يقول : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَمْنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ (القصص: ٨) ، القوة العسكرية التي كانت مع فرعون ، مثل فرعون وهامان ، حملهم الله المسؤولية ؛ لأنهم أعوان الظالم .

لما سجن الإمام أحمد في محنة خلق القرآن ، جاءه حارس السجن يسأله : هل الأحاديث التي وردت في أعوان الظلمة صحيحة ؟ قال : صحيحة . قال : فهل أنا منهم ؟ قال له : لا ، لستَ من أعوان الظلمة ، إن أعوان الظلمة مَنْ يطهو لك طعامك ، ويخيط لك ثيابك ، ويقضي لك حاجتك ، أما أنت فمن الظلمة أنفسهم ^(١) .

فعلى الإنسان أن يحرص ألا يكون ظالماً ، ولا عوناً لظالم . نصيحتي للإخوة في الشرطة ، وقد آتاهم الله سلطة : أن يحاول كلُّ منهم أن يجعل سلطته هذه في خدمة الحقّ ، في مساعدة الضعيف ، في إقامة العدل . لا تحابي ؛ لأن هذا من القبيلة الفلانية فتكرمه ، وهذا إنسان ضعيف فتكلمه من طرف أنفك ، واحد ترحّب به وتكرمه غاية التكريم ، وآخر تهمل

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي (١/٤٣٥، ٤٣٦) .

أمره ، لا ، حاول أن تكون كما قال سيدنا عمر لأبي موسى الأشعري : وآس بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك^(١) .
حتى الوجه ، حتى في ملاقاتك للناس لا تبتسم في وجه واحد وتتجهّم في وجه آخر . فحاول يا أخي أن تقيم العدل ، النبي عليه الصلاة والسلام يقول : «يومٌ من وال عادل خيرٌ من عبادة ستين سنة»^(٢) . وأيضاً الشرطة بضباطهم وجنودهم بإمكانهم أن يكونوا ولايةً عادلين ، فهناك والي على بلد ، وآخر والي على مركز ، وهناك والي على قسم ، ووالي على محافظة .

كلٌ واحد في ولايته ينبغي أن يعدل ، وأن يرحم ،
و«الراحمون يرحمهم الرحمن»^(٣) .

(١) رواه الدارقطني (٤٤٧١) .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٣٣٧ / ١١) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٣٧٩) بلفظ : « يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة » عن ابن عباس . وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء : إسناده حسن ، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٩٨٩) .

(٣) رواه أحمد (٦٤٩٤) وقال مخرجه : صحيح لغيره ، وأبو داود في الأدب (٤٩٤١) ، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٤) وقال : حسن صحيح ، والحاكم في البر والصلة (١٥٩/٤) وقال : بعد أن ذكره مع أحاديث عدة في الباب : وهذه الأحاديث كلها صحيحة ، ووافقه الذهبي . وصححه الألباني في الصحيحة (٩٢٥) ، عن عبد الله ابن عمرو .

للجهاد مراتب وأنواع :

السؤال : تسأل إحدى الأخوات تقول : والله ، إن قلوبنا تتلهّف للجهاد في البوسنة والهرسك ، ولكننا أمهات وزوجات ، أزواجنا وأولادنا نبذل كلّ أوقاتنا لراحتهم ، فهل جهادنا معهم معذرة لنا أمام الله سبحانه وتعالى؟ وكيف لنا أن نشارك في إمكانات النهوض على أكمل وجه؟ جزاكم الله خيرا .

الجواب : الجهاد مراتب وأنواع ، من فضل الله تبارك وتعالى ، أن هناك مَنْ يستطيع أن يجاهد بنفسه ، وهناك مَنْ يستطيع أن يجاهد بماله ، وهناك مَنْ يستطيع أن يجاهد بلسانه ، وهناك مَنْ يستطيع أن يجاهد حتى بالقلب ، « وذلك أضعف الإيمان »^(١) .

ليس من السهل على الكثيرين أن يذهبوا إلى البوسنة والهرسك ، لأنه يوجد عقبات وعقبات ، في أول الأمر كانت الطريق مفتوحة قليلا ، لكنهم بدأوا يشددون على العرب والمسلمين ، ولا يستطيع أن يذهب أحد إلا بحيلة ما ، حتى يدخل إلى هناك ، وليس كلُّ إنسان يصلح هناك ، فلو ذهبتُ أنا مثلا ومعى عكازي هذا ، هل أصلح؟ بالطبع لا ، وإنما

(١) رواه مسلم في الإيمان (٤٩) ، وأحمد (١١١٥٠) ، وأبو داود في الصلاة (١١٤٠) ، والترمذي في الفتن (٢١٧٢) ، والنسائي في الإيمان (٥٠٠٨) ، وابن ماجه في الصلاة (١٢٧٥) ، عن أبي سعيد الخدري .

أكون حملاً ثقيلاً عليهم ، لو أن إنساناً عنده خبرة في حرب العصابات ، أو آخر له خبرة في المتفجرات ، وهذه الأمور التي يستطيع أن ينفع بها ، فهذا يصحُّ له الذهاب .
والذي لا يستطيع أن يصل ، بمعنى أنه لا تمكنه ظروفه ، أو ليس عنده قدرات تنفع الإخوة هناك ، يجاهد بماله ، القرآن يقول : ﴿ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (التوبة: ٤١) ، قدّم الجهاد بالأموال دائماً على الجهاد بالأنفس ، والحديث الصحيح يقول : « مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا »^(١) ، فلو جئته بما يمكنه من شراء المدفع والبندقية ، كنت كأنتك جاهدت معه ، فمشكلة إخواننا مشكلة مالية من الدرجة الأولى ، لأنهم في حاجة إلى المال لإغاثة لهفتهم ، في حاجة إلى المال ليأكلوا ويشربوا ويلبسوا ويتدفأوا ويتداووا ، وفي حاجة إلى المال ليتسلحوا .

لو أننا من أول الأمر أمددناهم ببعض الأموال ، بقليل من الأموال ليشتروا بها السلاح ، لأمكنهم أن ينتصروا بسرعة ، ولكن لم نسعفهم ، كانوا يحاربون الجيش الرابع في أوروبا ،

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٤٣) ، ومسلم في الإمامة (١٨٩٥) ، كما رواه أحمد (٢١٦٨١) ، وأبو داود في الجهاد (٢٥٠٩) ، والترمذي في الجهاد (١٦٢٨) ، والنسائي في الصغرى (٣١٨٠) ، عن زيد بن خالد الجهني .

الجيش اليوغوسلافي الذي فيه كلُ الإمكانيات ، وهم ليس عندهم شيء يذكر ، كانوا في حاجة إلى المال ، لكن الأمم المتحدة وأمينها الهام منعوهم من الأسلحة ، قالوا : لا تبعت الأسلحة إلى جهات متحاربة . مع أن الجيش الآخر عنده الأسلحة ، فمنع الأسلحة يعني أنكم تتركون هؤلاء ليُذبحوا ، ولذلك المنفذ الوحيد هو شراء السلاح من السوق السوداء ، وهذا ممكن ، فعندنا مثل في مصر يقول : بالفلوس على أحسن شيء تدوس . تشتري من السوق السوداء السلاح ، ويأتيك في أي مكان ، تجار السلاح معروفين في العالم ، تسعى للفلوس .

لما وصلت للإخوة بعض الأسلحة صمدوا ، كان الصرييين يخططون أن تسقط سرايفوا بعد ثلاثة أسابيع ، فصمدت الآن إحدى عشر شهرا . فهم بحاجة إلى المال ، فمن لم يستطع أن يجاهد بنفسه يجاهد بماله ، والحمد لله ، الذي أراه أن المسلمين كشعوب متجاوبون جداً مع إخوانهم ، وقد كنت في فرنسا فقال لي بعض الإخوة : جاءنا مسلمون من أقاصي فرنسا ، جمعوا ممن حولهم تبرعات نقدية وعينية وجاءوا يسلمونها ، وقالوا لهم : نحن لم ندخل المسجد في حياتنا ، ولم نصل لله ركعة ، ونريد أن نتعلم الإسلام من جديد ، والذي حركنا هو ما رأيناه في التلفاز .

والحقيقة إن بعض التلفزيونات الغربية تأتي بمشاهد لا تأتي بها التلفزيونات العربية ، يأتون بأشياء فظيعة ، تقشعر من هولها الأبدان ، وتشيب لها الولدان ، وهو الذي جعلنا نتحرك ، الآن ما دام الإسلام يضطهد ، نريد أن نكون مسلمين ، فماذا نفعل؟! حرّكت المأساة هؤلاء الناس ، فمن لم يستطع أن يجاهد بنفسه جاهد بماله .

لكن للأسف المستوى الرسمي ليس على المستوى المطلوب ، حتى إنك تجد الرئيس من هؤلاء يتجاوب معك فردياً ويدفع ويبذل ، لكنهم إذا اجتمعوا مع بعضهم لا يصدر عنهم قرار نافع ، وقد اجتمع وزراء الخارجية الإسلامية في جدة ، ونظروا في قضية البوسنة ، ثم أصدروا بعض التوصيات والقرارات ، وأمهلوا الموضوع إلى الخامس عشر من يناير ، ولا أدري لماذا أخرّوه إلى الخامس عشر من يناير ، والقضية ساخنة وعاجلة ، وماذا بعد؟! جاء الخامس عشر من يناير ، ومضى يناير كله ، ومضى الخامس عشر من فبراير ، ويكاد فبراير ينتهي ولم نصنع شيئاً . ما تحركت الدنيا ولا قامت ولا قعدت ، المستوى الرسمي هو المؤسف ، إنما الشعوب والحمد لله تتجاوب ، فمن لم يستطع أن يجاهد بنفسه ، فليجاهد بماله ، من لم يستطع أن يجاهد بماله فليجاهد بلسانه ، يدعو لهؤلاء الإخوة ، يدعو الله لهم ، يوعّي إخوانه

بقضيتهم ، يعيش ألمهم ، ويحزن لهم ، فحزن القلب هذا الذي قال النبي ﷺ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَنَكْرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ »^(١).

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يخرجهم من محنتهم ، وأن ينصرنا وينصر المسلمين نصرًا عزيزًا .

السييل إلى إعادة صورة المسلم الحقيقية بعد تشويهها :

السؤال : من صور التحدي في المجتمع الإسلامي ، تصوير الإعلام الغربي للإنسان المسلم بالمتطرف والأصولي ، وغيرها من الأسماء ، مما ترك الأثر السلبي في عقلية المسلم العادي ، السؤال : كيف السبيل إلى إعادة صورة المسلم الحقيقية ؟

الجواب : لا بدَّ والله ، أن نبذل جهدًا في داخل بلادنا نفسها ، حتى تتحسن صورة المسلمين ، يعني الآن هناك حملات شرسة لتصوير الإسلاميين بأنهم وحوش ، وكان الغرب قديمًا يقول : احذروا الإسلام المتطرف ، احذروا المسلمين المتطرفين المتشددين . تعرفون ماذا يقولون اليوم؟ احذروا الإسلام المعتدل ، احذروا الإسلاميين المعتدلين ، هؤلاء أشدُّ

(١) رواه مسلم في الإيمان (٤٩) ، وأحمد (١١٤٦٠) ، وأبو داود في الصلاة (١١٤٠) ، والترمذي في الفتن (٢١٧٢) ، والنسائي في الإيمان (٥٠٠٨) وابن ماجه في الصلاة (١٢٧٥) ، عن أبي سعيد الخدري .

خطراً ، وأبعد أثراً ، المتطرفون قصار العمر ، لن يطول أمدهم ، إنما ينبع الخطر من هؤلاء المعتدلين ، فهؤلاء هم جذورهم غائرة في الأرض ، هؤلاء عمرهم طويل .

ولذلك تجد بعض البلاد الآن بدأت تحارب المعتدلين ، دعاة الاعتدال ، لماذا يحارب بالله عليكم من ينتخبه الشعب؟ إذا الشعب انتخب هذا لمجلس النواب وأخذ أغلبية ، أستم دعاة الديمقراطية؟ دعوا صناديق الانتخابات تحكم ، لا ، إذا وصلت إلى هذا يقطع الطريق عليك ، إذا انتخبك أصحابك في نقابة من النقابات ، ووصلت إلى هذا ، يغلق الباب دونك ، إذا كنت إسلامياً! يقولون هناك جماعة منظمة هي التي تعمل تقوم بهذا . الطريق مقطوع عليك .

لكي نقف نقنع الإعلام الغربي ، نريد أن نقنع الإعلام العربي والإسلامي ، نقول لهم : اتقوا الله ، لأن تصوير الأصولية بهذه الصورة هذا تصوير ظالم . لي أرجوزه ، أعددتها وألقيتها في قطر عن الأصوليين ، على لسان أجهزة الإعلام الجائرة ، هي طويلة ، حوالي مائتي بيت ، على طريقة الرَجَز ، أقول لكم بعض آياتها الساخرة :

أولئكم هم الأصوليون	قد خربوا الدنيا وشانوا الدين
فجندوا حربهم كل القوى	فما لهم غير الفناء من دوا
فكل يوم يكسبون أرضا	تمتد طويلاً بيننا وعرضاً

حتى غزوا ساحة أهل الفن وأفسدوا المخرج والمغنى
ومن عجيب ما نرى ونسمع توبة أهل الفن هذا المفجع
مثلثات ترتدي الحجاب أليس ذاك العجب العجيب
وراقصات يعتزلن الرقص كأن هذا الرقص صار نقصا
من ذا يعيب الهز للبطون وذاك من روائع الفنون
أليس من ميراثنا الثقافي رياضة البطون والأرداف
إلى آخره . لا بد أن نقوم بعمل مضاد .

نشكو إلى الله من هذا الذي يحدث ، فهو ظلم ، مع إنه
لا نجاة لهذه الأمة - والله - ولا سعادة لها ، ولا حياة لها ،
ولا وحدة ، ولا قوة إلا بالرجوع إلى الإسلام . لماذا لا نتيح
للإسلاميين كما أُتيح لغيرهم ، حكمتنا الاشتراكية الثورية ،
وحكمتنا الرأسمالية الغربية ، اتركوا الإسلام يحكم ، خليفهم
يجربوا ، لعلهم يفشلون وتستريحون منهم . فلماذا يقطع الطريق
على الإسلاميين وحدهم ؟ هذا ظلم ، فنسأل الله العافية .

دور المعلم إزاء هذه التحديات :

السؤال : أسمعنا فضيلة الدكتور القرضاوي شيئا من شعره ،
وبالمناسبة كانت هناك ورقة حقيقة من إحدى الأخوات
تطلب : هل يمكن أن تسمعنا يا دكتور آخر قصائدك ؟
وأعتقد مدرّسة ، وتساءل السؤال : ما دوري كمدرسة إزاء هذه
التحديات ؟

الجواب : يكفي هذا الشعر لأننا أطلنا .

أما المعلم والمعلمة فهما في الواقع يقومان بأعظم دور ، فالرسول ﷺ يقول : « إن الله بعثني معلماً ميسراً »^(١) ، ومن مهمات النبوة التعليم : ﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (الجمعة: ٢) ، ومن هنا كان دور المعلم والمعلمة دوراً ذا أهمية ، في التثقيف والتوجيه ، وفي التربية والتزكية ، والتزكية ليست بالتلقين ، بل بالقدوة الحسنة .

نحن نواجه مفاهيم خاطئة ، ونحن في حاجة لأن نصحح هذه المفاهيم ، نحن نواجه هجمة وغزوة فكرية وأخلاقية وسلوكية ، في حاجة إلى أن نربي أبنائنا وبناتنا على قيم الإسلام وأخلاقيات الإسلام ، ولذلك مهمة المعلم ومهمة المعلمة ، والمعلمة بالذات ، لأن المرأة نصف المجتمع ، من ناحية العدد ، وأكثر من النصف من ناحية التأثير ، لأنها تؤثر أيضاً في زوجها ، وتؤثر في أبنائها ، ولذلك عليها مهمة عظيمة ، إذا كانت معلمة كان عليها مهمة في المدرسة ، تقود هذا الجيل الجديد نحو الإسلام الصحيح ، وأن تحبب إليه الدين ، وأن تحبب إليه الإيمان وتحبب إليه الأخلاق ، وتحبب إليه الالتزام ، خصوصاً إذا كانت هي نموذجاً ، وكانت أسوة ، تعلم بالقدوة وبالأخلاق ، قبل أن تعلم بالكلام ، لسان الحال أبلغ من لسان المقام .

(١) رواه مسلم في الطلاق (١٤٧٨) ، وأحمد في (١٤٥٥٥) ، عن جابر .

فعلى الأخت أن تؤكّد هذا في سلوكها ، وتتعبّد لله سبحانه وتعالى بتربية جيل من المسلمات الصادقات الصالحات إن شاء الله .

تحري ليلة القدر :

السؤال : كان رسول الله ﷺ يتحرّى ليلة القدر ، ويأمر أصحابه بتحريها ، وكان يوقظ أهله في الليال العشر ، رجاء أن يدركوا ليلة القدر ، فكيف يعرف المرء ليلة القدر بمفرده؟ وشكرًا .

الجواب : ليلة القدر غير معروفة تمامًا ، وهي كما جاء في الحديث : « التمسوها في العشر الأواخر من رمضان »^(١) ، وبعض الأحاديث : « تحرّوها في السبع الأواخر »^(٢) ، وبعضها : « في الأوتار »^(٣) ، يعني الليالي الوترية ، ولكن حتى الليالي

(١) متفق عليه : رواه البخاري في فضل ليلة القدر (٢٠١٦) ، ومسلم في الصيام (١١٦٧) ، كما رواه أحمد (١١٥٨٠) ، وأبو داود في الصلاة (١٣٨٢) ، والنسائي في السهو (١٣٥٦) ، عن أبي سعيد الخدري .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في فضل ليلة القدر (٢٠١٥) ، ومسلم في الصيام (١١٦٥) ، عن ابن عمر .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في صلاة التراويح (٢٠١٥) ، ومسلم في الصيام (١١٦٥) ، عن ابن عمر بلفظ : « أرى رؤياكم في العشر الأواخر ، فاطلبوها في الوتر منها » .

الوترية هذه تختلف ، لأننا بدأنا يوم الاثنين ، ولكن هناك بلاد بدأت يوم الثلاثاء ، فهل يا ترى ستكون ليلة القدر في وتر مَنْ؟ الله أعلم .

ولذلك فالأولى بالمسلم أن يحيي رمضان كله ، ويكثر من النشاط أكثر في العشر الأواخر كما كان النبي ﷺ ، إذا دخل العشر ، أحيا ليله - أي كله - وشدّ مئزره ، وأيقظ أهله^(١) . أيقظ زوجاته يشاركه هذا الخير ، لأن ليلة القدر خير من ألف شهر ، يعني ليلة أفضل من ثلاثين ألف ليلة ، تصور قدر المضاعفة ، الناس الآن إذا قيل هناك تنزيلات وتخفيضات من عشرين إلى خمسين أو ستين في المائة - وأحياناً يكون هذا غير صحيح - تجد الناس تذهب لشراء ما لا حاجة لهم به ، لأن هناك تنزيلات . يا أخي هذا أوكازيون رباني ، والزيادة ليست عشرين في المائة ولا مائة في المائة ، ولا مائتين في المائة ولا ألف في المائة ، إنما ثلاثين ألف ضعف ، ليلة تضاعف ثلاثين ألف مرة ، مَنْ الأحق الذي يضيع هذا؟

ولذلك قال النبي ﷺ في أول شهر رمضان : « أتاكم رمضان شهر مبارك ، فرض الله عزّ وجلّ عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب السماء ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغلّ فيه مردة

(١) متفق عليه : رواه البخاري في صلاة التراويح (٢٠٢٤) ، ومسلم في الاعتكاف (١١٧٤) ، عن عائشة .

الشياطين ، لله فيه ليلة خير من ألف شهر ، مَنْ حُرِمَ خيرها فقد حرم»^(١) .

وقد جاء في الصحيح : « مَنْ قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه »^(٢) ، وهذا ما جعلني أقول أيها الإخوة في بداية محاضرتي : أن نحتسب وجودنا هنا وجلسنا هنا قياماً ، إحياء لهذه الليلة ، فبدلاً من أن نضيّع وقتنا أمام شاشات التلفاز ، أو مع الأصدقاء في الكلام عن فلان وعلان ، جلسنا في جلسة علم ، والعلم ذكر ، نحن نذكر الله عزَّ وجلَّ ، فنحن الآن إن شاء الله إذا صحَّت نياتنا في إحياء هذه الليلة ، ولعلها ليلة القدر ، مَنْ يدري؟

الله أخفى عنا ليلة القدر كما أخفى عنا آخر العمر ، فلم يعلمنا متى نموت؟ كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة ، كما أخفى اسمه الأعظم ضمن الأسماء الحسنى ، لماذا؟ لنحيي رمضان كله ، ونزيد نشاطاً في العشر الأواخر ، لأننا لو عرفنا أيَّ ليلة هي ليلة القدر ، لظللنا نائمين حتى تلك الليلة ،

(١) رواه أحمد (٧١٤٨) وقال مخرجه : صحيح ورجاله رجال الشيخين ، والنسائي في الصيام (٢١٠٦) ، عن أبي هريرة وصححه الألباني .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في الصوم (١٩٠١) ، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٠) ، كما رواه أحمد (٧٢٧٨) ، وأبو داود في الصلاة (١٣٧٢) ، والنسائي في الصيام (٢٢٠٦) ، عن أبي هريرة .

ولا نقوم في غيرها!! وليلة ثلاثين ألف ليلة ، ليست هينة ،
انشط قليلا ، وصلِّ صلاة خاشعة ، وابحث عن مسجد مطمئن ،
وخصوصاً في العشر الأواخر .

شهدنا في الصغر ، كان بعض الناس يصلِّي التراويح ،
بعشرين ركعة ، يقرأ في كلِّ ركعة أول آية من أول ربع من
سورة البقرة ، لكي يضبط العدد ، إنما قد تكون الآية طويلة ،
فيقطع منها جزءا ، فعلى سبيل المثال آية : ﴿ وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ
أَنْثَىٰ عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ (البقرة: ٦٠) ، طويلة فيقرأ : ﴿ وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ﴾ ، الله أكبر ، فقط ، ويقرأ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي
أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً ﴾ (البقرة: ٢٦) ، ولا يكمل الآية .

الذي يريد ليلة هي خير من ألف شهر لا بدُّ أن يُتعب نفسه
قليلا ، والله إنه سيفوز بخير كثير ، يكفي أنه سيكسب
المغفرة ، أن يُغفر له ما تقدَّم من ذنبه ، ويكسب الحسنات
المضاعفة .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفِّقنا إلى إحياء هذه الليلة ،
وأن يجعلنا ممَّن صام هذا الشهر وقامه إيماناً واحتساباً ، فغفر
له ما تقدَّم من ذنبه .

الإعلام الأوربي والقيَم :

السؤال : في الحقيقة هناك سؤال يحتاج إلى التعليق ، أحد الأخوة يسأل عن تركيب المحطات الهوائية التي تسمح بالنقل من شرق آسيا وأوروبا في المحطات التلفزيونية ؟ ويقول : لا يستطيع أي شخص في البيت أن يمنع ابنه أو أبنائه عن مشاهدة أي فيلم في التلفاز! فهل وجود التلفزيون المليء بالمحطات المتعددة (الدش) حلال أم حرام ؟ وكيف ؟

الجواب : حقيقة أنا أرى بتحريم ما يسمونه (الدش) هذا ، لأنه باب فساد كبير .

وعندنا في الشريعة شيء اسمه (سدُّ الذرائع) ، بمعنى أن الشيء الذي يوصل إلى الفساد ، إن كان هو في ذاته حلالاً في الأصل - لأنه هو أصل الأشياء - لكنه يجرُّ إلى فساد فهو حرام ، الأدوات هذه بحسب ما تُستخدم له ، يعني إذا سألتني الإذاعة حلال أم حرام ، أو التلفاز ؟ لا أستطيع أن أقول : حلال أو حرام . حتى أعلم فيم يُستخدم ، السيف حلال أم حرام ؟ البندقية حلال أم حرام ؟ فالبندقية مثلاً في يد المجاهد هي أداة عبادة ، وفي يد قاطع الطريق أداة إجرام وإفساد ، فلذلك لا نستطيع أن نحكم على شيء من هذه الأشياء إلا بعد معرفة فيم يستخدم !

ألا يكفيننا ما نعانيه من الإعلام في بلادنا حتى نضيف إليه الإعلام الآخر ، الذي يأتينا بالفضائح . والسؤال : لماذا نريد هذه الأشياء؟ فإن كان من أجل الأخبار ، فتستطيع سماع الأخبار عن طريق (سي إن إن) وغيرها ، بينما هذه المحطات تأتي بكل شيء ، لا تبالي .

وأنا في الحقيقة شاهدتُ بعض هذا ، كنتُ في ألمانيا وفتحت التلفاز فوجدتُ مناظر لا يمكن أن يتحملها الإنسان ، ونحن في مؤتمر البوسنة والهرسك وجدنا الأوربيين لا يستحون من شيء ، وقد قال لي أحد الشباب : إن أباه أتى بهذا في البيت ويجلس يشاهد . فهذا رجل كبير ومع ذلك يتفرّج على مثل هذه الأمور ، أما تخاف على امرأتك ، على ابنتك ، على ابنك ، هذه الأشياء قد تدمرهم ، فلماذا نفتح باب الشرّ على أنفسنا ؟

هناك مثل مصري يقول : (الباب اللي يجيلك منه الريح سده واستريح) . ولذلك أنا أفتي بتحريم هذه الأشياء ، ولا ينبغي أن نتساهل فيها ، لكن ينبغي أن نطور إعلامنا ، نريد إعلاماً قوياً ، فبعضهم يقول لي : لكي أرى الخبر كما ينبغي فإني أراه في القنوات الأوربية ، لأن عندنا قضايا عليها تعميم إعلامي ، وقضايا يأتيك منها بجزء ويخفي جزء ،

أما هؤلاء فيتتبعون الخبر ويأتون به من مصادره الأصلية ، ويرسل مراسل ، ويتواصل بالهاتف ، ويأتيك بالأخبار على حقيقتها في كثيرٍ من الأحيان .

نحن في حاجة إلى أن نطور برامجنا الإخبارية ، وبرامجنا التوجيهية ، والثقيفية ، وبرامجنا حتى الترفيهية ، نريد إعلامًا يخدم الأمة حقيقةً ، ليحصن الناس من هذا الإعلام الغازي . فهو غزو خطير ، ويجب على دولنا العربية والإسلامية ، وعلى المسؤولين عن الأجهزة التلفزيونية ، وعن الإعلام ووزراء الإعلام بصفة عامة ، عليهم أن يتقوا الله في هذه الأمة ، ويحاولوا الوقوف أمام هذه الموجة الغازية العاتية المدمرة ، وإلا فلا يعلم إلا الله وحده ماذا تكون عواقب هذا الأمر ، وإلى الله المشتكى ، والله المستعان ، وعليه التكلان .

أيها الأحبة ، الأسئلة لن تنتهي لذلك بُقي بعضها للقاء آخر . كنتُ دائماً أقول للإخوة : حيثما أذهب إلى أيِّ بلد أجد تلاماً من الأسئلة ، وأجيب عن بعضها ، وكلُّ شيخ له طريقة ، وطريقتي أنني أحب شرح الإجابة وتوضيحها . يوجد من العلماء مَنْ يجيب بحلال أو حرام . يقول : حرام فقط . لكن حرام لماذا؟ وما الدليل على ذلك؟ وما الحكمة فيه؟ أحبُّ في إجاباتي توضيح هذه الأمور ، فقد خلقت أريد البيان والإفهام ،

فلا بد أن أتحدّث عن الموضوع بحيث يفهم ويقنع ، فأحياناً
تطول إجاباتي ، ولذلك لا أستطيع أن أجيب عن جميع
الأسئلة .

فأنا أقول دائماً للإخوة : إذا كنتم تريدون أن لا أعود مرّة
أخرى سأبقى إلى أن أجيب عن الأسئلة كلّها ، إنما إذا أردتم
أن أعود إليكم مرّة أخرى فلا بد أن نبقي بعض الأسئلة لتكون
حجة للعودة . أقول : جئكم لأكمل باقي الأسئلة .

فيذا كنتم تحبون أن أرجع مرّة ثانية - أم أنها المرة
الأخيرة؟ - فاتركوا عدّة أسئلة للمرّة القادمة .

الدعاء :

هناك طلب بالدعاء في الختام ، عسى أن تكون هذه الليلة
أن تصادف ليلة القدر فيستجاب لنا إن شاء الله .

إني داع فأمنوا : اللهم إنا ندعوك كما أمرتنا فاستجب لنا
كما وعدتنا ، اللهم تقبل صيامنا وقيامنا وصالح أعمالنا ، اللهم
ما قصرنا فيه فاغفره لنا ، اللهم اغفر لنا ما مضى ، وأصلح لنا
ما بقي ، اللهم اجعلنا ممن صام هذا الشهر وقامه إيماناً
واحتساباً فغفر له ما تقدّم من ذنبه ، اللهم اجعل حظنا منه
الرحمة والمغفرة والعق من النار ، اللهم اجعل خير أعمالنا
أواخرها ، وخير أعمالنا خواتيمها ، وخير أيامنا يوم نلقاك .

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا ، واجعل غدنا خيراً من يومنا ، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، اللهم أعنا على شهوات أنفسنا ، وأصلح فساد قلوبنا ، اللهم طهر أقوالنا من اللغو ، وطهر أعمالنا من العبث ، وطهر أنفسنا من الضعف ، وطهر قلوبنا من الغش ، وطهر ألسنتنا من الكذب ، وطهر أعيننا من الخيانة ، وطهر أعمالنا من الرياء .

اللهم كن لنا ولا تكن علينا ، وأعنا ولا تُعن علينا ، اللهم أكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وزدنا ولا تنقصنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارض عنا وأرضنا .

اللهم افتح لنا فتحاً ميبناً ، واهدنا صراطاً مستقيماً ، وانصرنا نصراً عزيزاً ، وأتم علينا نعمتك ، وأنزل في قلوبنا سكينتك ، وانشر علينا فضلك ورحمتك .

اللهم انصر إخواننا في فلسطين ، اللهم انصر إخواننا في لبنان ، اللهم انصر إخواننا في البوسنة والهرسك ، اللهم انصر إخواننا في جامو وكشمير ، اللهم انصر إخواننا في الفلبين ، اللهم انصر إخواننا في أريتيريا ، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في كل مكان ، وخذ بأيدي إخواننا المضطهدين

حيث ما كانوا ، اللهم فكَّ أسرى المأسورين ، اللهم فكَّ أسرى
المعتقلين ، اللهم افكك بقوتك أسرهم ، واجبر برحمتك
كسرهم ، وتولَّ بعنايتك أمرهم .

اللهم احرس المستضعفين من المسلمين بعينك التي
لا تنام ، واكلاًهم في كفك الذي لا يضام ، اللهم لا تكلنا إلى
أنفسنا طرفه عين ولا أقل من ذلك ، اللهم عليك باليهود ،
اللهم عليك بالصربيين ، اللهم عليك بالهندوس ، اللهم عليك
بالشيوعيين ، اللهم عليك بالعلمانيين واللاذنيين ، اللهم عليك
بالجبابرة الظالمين ، اللهم عليك بالجبابرة الظالمين ، اللهم
عليك بجميع أعدائك أعداء الإسلام .

اللهم إنا نجعلك في نحورهم ، ونعوذ بك من شرورهم ،
اللهم ردَّ عنا كيدهم ، وقلَّ حدَّهم ، وأنزل عليهم بأسك الذي
لا يرد عن القوم المجرمين .

اللهم إنا نسألك في شهرنا هذا ، وفي ليلتنا هذه أن تجعلنا
من عتقائك من النار ومن المقبولين ، اللهم إنك عفوٌ تحب
العفو فاعفُ عنا ، اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعفُ عنا ،
اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعفُ عنا .

اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته ، ولا عيباً إلا سترته ،
ولا مريضاً إلا شفيته ، ولا مبتلى إلا عافيته ، ولا ضالاً إلا
هديته ، ولا مشرداً إلا آوَيْته ، ولا مظلوماً إلا نصرته ،

ولا ظالماً إلا قصمته ، ولا ميتاً إلا رحمته ، ولا حاجةً من
حوائج الدنيا والآخرة لنا فيها صلاح ولك فيها رضا إلا
قضيتها ويسررتها يا أرحم الراحمين .

اللهم نور على أهل القبور من المسلمين قبورهم ، الله اغفر
لهم وارحمهم ، وعافهم واعف عنهم ، واغسلهم بالماء والثلج
والبرد ، ونقّهم من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ،
واغفر لنا وارحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه .

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل
في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم .
ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا
للمتقين إماما .

ربنا اجعلنا مقيمي الصلاة ومن ذرياتنا ربنا وتقبل دعاء .
ربنا اغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ،
اللهم آمين .

وصلّ اللهم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليماً كثيراً .

والسلام عليكم أيها الإخوة ورحمة الله وبركاته .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المجتمع الإسلامي وإمكانات النهوض.....	٣
اهتمام الإسلام بالمجتمع.....	٥
مجتمع الدين والدنيا معا.....	٥
المجتمع الإسلامي مجتمع الإخاء.....	٧
المجتمع المسلم مجتمع مجاهد.....	٨
المسلم لا يعيش وحده.....	٩
المجتمع الإسلامي مترابط متضامن.....	١١
التحديات تفرض نفسها على العالم الإسلامي.....	١٣
كيف نجمع بين الدين والدنيا؟.....	١٥
هم يصنعون الحضارة ونحن نستهلكها.....	١٥
بيننا وبين القوم مراحل.....	١٧
ما الذي يعجزنا؟.....	٢٢
الإمكانات المادية للنهوض.....	٣٠
الأسئلة.....	٣٨
هل تسير الأمة من سيئ إلى أسوأ؟!.....	٣٨
دور رجال الشرطة في النهضة.....	٤٢
للجهاد مراتب وأنواع.....	٤٥
السييل إلى إعادة صورة المسلم الحقيقية بعد تشويهها.....	٤٩
دور المعلم إزاء هذه التحديات.....	٥١
تحرير ليلة القدر.....	٥٣
الإعلام الأوربي والقيم.....	٥٨
الفهرس.....	٦٤